ثقافة التسامح والتعايش في الأديان السماوية

أ.م د. نبراس عدنان المطيري
جامعة بغداد / قسم الاجتماع/ كلية الآداب

الخلاصة :

ان التعايش والتسامح هو ضرب من التعاون الذي يقوم على اساس الثقة والاحترام المتبادلين الذي يهدف الى غايات يتفق عليها الطرفان او الاطراف التي ترغب في التعايش وتمارسه عن اقتناع وطواعية وباختيار كامل .

ان التعايش بين المسلمين وبين غيرهم من اهل الاديان ينبغي ان ينطلق من الثقة والاحترام المتبادلين ومن الرغبة في التعاون لخير الانسانية في المجالات ذات الاهتمام المشترك وفيما يمس حياة الانسان من قريب وليس فيما لا نفع فيه ولا طائل منه .

ولعل المجال الذي رسمه الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله) للتعايش يمثل في رأينا الصيغة المثلى لتحديد صورة هذا التعايش بين المسلم وبين غير المسلم فقد وضع ثلاثة مبادئ للتعايش والحوار هي :

١-الاتفاق على استبعاد كل كلمة تخدش عظمة الله وجلاله فأنا وانت متفقان على ان الله قد احاط بكل شيء علماً وانه لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الارض وان رحمته وسعت كل شيء وانه ليس متصفاً بالنقائص والعيوب التي تشيع بين الناس .

٢-الاتفاق على ان الله يختار رسله من اهل الصدق والامانة.

٣-وما وجدناه متوافقاً في تراثنا نرد اليه ما اختلف فيه ، وبذلك يمكن وضع قاعدة مشتركة بين الاديان .

من هذه القاعدة يمكن ان ننطلق على سبيل المثال لا الحصر في اتجاه تعميق البحث العلمي في مجال جهود مشتركة للوصول الى نتائج تدعم اسس التعايش الذي هو في البدء والختام التعاون بين المؤمنين في الارض على ما فيه الخير والصلاح للانسانية جمعاء ، والبحث العلمي النزيه عن اتصال الاديان واثار ذلك الاتصال خطوة صالحة في سبيل السلام العالمي والاخوة الانسانية التي سمت اليها الروح الدينية العالية وحلمت بها الفلسفة منذ شروق شمس الحياة الفكرية ، ثم لا تزال تتطلع اليها العناصر الكريمة في الحياة العاملة وهو بحث يوسع افق المتدينين ، وهو في الوقت نفسه واجب علمي لخدمة الحقيقة يتولاه الباحثون في تاريخ الاديان ، والاشتراك في جهود علمية ثقافية في هذا المجال يعود بالفائدة على المؤمنين جميعاً لان هذه الجهود تصب في اتجاه تعميق التفاهم بين اهل الاديان واشاعة القيم الانسانية في اوساطهم واقامة جسور للتقارب الانساني الذي يعلو على التقارب الفكري والثقافي والتعاون بين الاديان في المحافظة على سلامة البيئة ومحاربة الامراض الخطيرة، وفي القضاء على التفرقة العنصرية وفي رفع الظلم عن الشعوب والطوائف والفئات التي تتعرض للاضطهاد وهو مجال واسع للتعايش بين المؤمنين .

كذلك ينبغي ان يشمل التعايش بين الاديان العمل المشترك لمحاربة الالحاد والانحلال الاخلاقي وتفكك الاسرة وانحراف الاطفال ويجب ان يتسع مفهوم التعايش بين الاديان للقضاء على اسباب التوتر واضطراب حبل الامن والاسلام وعدم الاستقرار في انحاء عدّة من العالم .

ان الاصل الشرعي في الحوار مع اهل الاديان الدعوة الى الله وبيان الحق ورد الباطل بالادلة الصحيحة ، قال تعالى : ((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ))(سورة فصلت : ٣٣)

وقال تعالى : ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))(سورة يوسف : ١٠٨).

وقال تعالى : ((وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))(آل عمران : ١٠٤) .

وحتى يكون التعايش بين الاديان في خدمة السلام العادل يجب ان تتحرر الاطراف المشاركة فيه من القيود والضغوط والارتباطات كلها التي تتعارض ومبدأ هذا التعايش واهدافه .

فالتعايش بين الاديان هو تعايش في الوقت نفسه بين الثقافات والحضارات ان لم يكن الهدف منه خدمة الاهداف السامية التي يسعى اليها الانسان ولاشك في انه سوف يكون اشد الحاحاً في المستقبل القريب لما يبدو لنا من مؤشرات في الافق تؤكد جميعها على ان القرن الحادي والعشرين سيعرف ازمات شديدة الوطء على المستوى السياسي والاقتصادي وفي المجال الحضاري والثقافي معاً وفي هذا المناخ تتضاعف اهمية رسالة الاديان السماوية وتتعاظم مسؤولية المؤمنين في الدفع بالتعايش بين الاديان نحو الاتجاه الصحيح عملاً بالتوجيه الرباني في قوله تعالى : ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ))(سورة آل عمران : ٦٤) .

اهم التوصيات التي يؤكدها البحث :

مقدمة :

ان التعايش والتسامح بين الاديان والحضارات كان سهلاً في الماضي ولاشك ان ثورة المعلومات التي تمثلت في استعمال الملايين شبكة الانترنيت جعلت العلم اشبه بالقرية الصغيرة وسهلت التواصل والتعارف بين البشر في شتى الجنسيات والاديان واخترقت السنين في ثوانٍ معدودة والاستزادة بالمعلومة بضغطة زر واحدة

ولعل كل هذا يزيد من سهولة التفاهم والتسامح والتعايش السلمي بين الاتجاهات المختلفة والمتعارضة .

ان الثقافة والحضارة الاسلامية منفتحة على حضارات الامم ومتجاوبة مع ثقافات الشعوب وهي متأثرة ومؤثرة ، ومبدأ عالمية الاسلام هو الاساس الثابت الذي تقوم عليه العلاقة بين المسلم مع اهل الاديان السماوية .

ومن الصعوبة ان يعيش الانسان مع نفسه من دون ان يختلط مع المجتمعات الأخرى التي تؤمن بغير دينه ومن دون ان يدخل في عملية تبادلية مع طرف ثان أو مع أطراف اخرى تقوم على التوافق حول مصالح او اهداف او ضرورات مشتركة ان الامل ما زال قائماً في ان التعايش بين ابناء ومعتنقي الاديان المختلفة بين بعضهم البعض .

اما كيف يتم التعايش والتسامح ابتداء من الثقة والاحترام المتبادلين ومن الرغبة في التعاون لخير الانسانية في المجالات ذات الاهتمام المشترك وفيما يمس حياة الانسان من قريب وليس فيما لا نفع فيه ولا طائل تحته .

وسوف اتناول في هذا البحث عدداً من المفاهيم المرتبطة بموضوع البحث ، منها التسامح ، التسامح الديني ، الثقافة ، التساهل ، السلام الاجتماعي وغيرها من المفاهيم الاخرى ، هذا فضلاً عن انه سوف نتطرق في ثنايا هذا البحث الى موضوع التعايش والحوار بين الاديان وموضوع التسامح الديني في الثقافات متناولين بذلك :

- التسامح في الدين الاسلامي
- التسامح في الديانة المسيحية
- التسامح في الديانة اليهودية

فضلً عن خلاصة الموضوع .

أولاً- المفاهيم :

١-التسامح :

هو موقف فكري وعملي قوامه تقبل المواقف الفكرية والعملية التي تصدر عن الغير ، سواء أكانت موافقة ام مخالفة ، ولفظ التسامح ترجمة للمصطلح اللاتيني Tolerantia ويعني لغوياً التساهل ، ومن معانيه انه سلوك شخص يتحمل من دون

اعتراض أي هجوم على حقوقه في الوقت الذي يمكنه فيه تجنب هذه الاساءة ويعني استعداد المرء لان يترك للآخر حرية التعبير عن رأيه ولو كان مخالفاً او خطأ .

وفي اللغة العربية تدل كلمة التسامح على السياسة التي يتجمل بها الفرد في التعامل مع كل ما لا يوافق عليه ويصبر عليه ويجادل فيه بالتي هي احسن ويتقبل حضوره بوصفه حقاً من حقوق المخالفة . ولازمة من لوازم الحرية التي يقوم عليها معنى المواطنة في الدولة المدنية الحديثة ، ويؤكد الجذر اللغوي للكلمة العربية (سَمَحَ) هذه الدلالة الاصلية ويرتبط بمعاني العطاء والرحابة والقبول والصفح ولين الجانب والتساهل ثم يؤكد حق المغايرة ، وتدور دلالته حول تقبل وجود الآخر المخالف ثم مجادلته بالتي هي احسن والانطلاق من انه ليس ادنى او اقل لانه (آخر) أو (مختلف).

اما تعريف التسامح اصطلاحاً فهو كلمة دارجة تستعمل للاشارة الى الممارسات الجماعية كانت ام الفردية التي تقتضي نبذ التطرف او ملاحقة كل من يعتقد او يتصرف بطريقة مخالفة قد لا يوافق عليها المرء ، والتسامح بالمعنى الحديث يدلُ على قبول اختلاف الآخرين سواء في الدين ام العِرق ام السياسة ام عدم منع الآخرين من أن يكون آخرين او اكراههم على التخلي عن آخريتهم .

٢-التسامح الديني :

وهي المحبة للناس جميعاً وعدم التمييز بينهم على وفق اللون او الجنسية والمعنى السائد للتسامح الديني يقوم على مبدأ قبول الاخر باختلافه وتباينه ، ولكن التسامح الديني في معناه العميق اليوم يرتكز الى مبدأ فلسفي وديني ، انه الاعتراض الهادئ بوجود التباينات ثم احترام هذه التباينات بوصفها اثراء للوجود البشري ودعوةً الى التعرف والتثاقف (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات :١٣) .

التسامح الديني العنوان الاكثر بريقاً للكتاب والاكثر اهمية بين السياسيين والاكثر شعبية بين الناس واذ ان الكتاب يتلمسون مقدار التصاق الدين بالحياة اليومية للناس وتوقهم الى التسامح الديني فيتخذونه وسيلة لتوسيع شعبيتهم تارة وليدسوا عن

طريقه خلاله افكارهم تارةً اخرى يلهثون وراء هذا الموضوع لحماية مصالحهم وتوسيع قاعدة جماهيرهم فيحققون المكاسب المادية والمعنوية الممتازة . اما البسطاء من الناس فيتلقون هكذا موضوع بنظرتهم . فطرة الانسان التي خلقه الله عليها .

خصائص مفهوم التسامح :

أ- ان قيمة التسامح تقوم على مبادئ اخلاقية معينة هذه المبادئ تعتمد عدم انتهاك بعد الآخرين الانساني ويمكن ان يحدث ذلك عندما تكون هناك محاولة لعرض وجهة نظر مختلفة او مطلب بأن يتصرف الشخص بطريقة تتعارض مع معتقداته الخاصة او معتقدات الاخرين في الوقت نفسه ، هذه الطبيعة الاخلاقية للتسامح لا تتطلب من الفرد ان يخفف من ايمانه او معتقداته ولكنها تتطلب بدلاً من ذلك احتراماً مطلقاً لاعتقاد الاخر حتى اذا لم يكن هناك مبادئ مشتركة بين هذا الفرد والآخر وهذا هو الاساس الحقيقي للحقوق الانسانية فضلاً عن انه اساس التسامح الحق الذي لا يرفض السعي الى الحقيقة والبحث عنها .

ب-اذا كان التسامح في المقام الاول هو السماح " بحرية العقل فإن فكرة الحرية نفسها تمثل مشكلة لانه من الصعب تحديد نقطتي بداية ونهاية لها .

جـ-يقدم التسامح مشكلات عدة متعلقة بمضمونه وتاريخه وعلاقاته الدينية والسياسية والفلسفية وحدوده ومجالاته وامكاناته فهو اخلاقي وديني وفلسفي وسياسي وحقوقي له مضامين عدة ومستويات مختلفة تتمثل اساساً في حرية المعتقد والعقل والتعبير والاقرار بالاختلاف .

ومع التطور التاريخي تطور مفهوم التسامح ليجمع بين مجموعة القيم تلك ، الاخلاقية والفلسفية والدينية والسياسية التي صاغها المجتمع الدولي في العقود الاخيرة فالتسامح قيمة اخلاقية اولاً إذ لا يمكن فهمه إلاّ نقيضاً للتعصب وقيمة فلسفية صقلتها تجارب التعايش الانسانية وقيمته الدينية لا يمكن فهمها بعيداً عن مفهوم المحبة والاخاء وقيمة سياسية تقبل الحجة والاختلاف .

وقيمة حقوقية تدعوا الى عدم التمييز وتحدد الحقوق والواجبات في مجال المواطنة. وان التسامح يمثل قيمة سياسية اذ يعد شرطاً اساسياً لممارسة ديمقراطية

حقيقية وبذلك ثم فإن العيش في مجتمع متسامح هو العيش في مجتمع يتقبل النقد ويقر الاحترام فكل فرد فيه يعبر بحرية عن فكرة من دون ان يفرضها على الآخرين.

٣-الثقافة Culture:

هي ذلك الكل الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والاخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الانسان بوصفه عضواً في مجتمع . وهي البيئة التي خلقها الانسان بما فيها المنتجات المادية وغير المادية التي تنتقل من جيل الى آخر فهي في ذلك تتضمن انماط السلوك المكتسب الظاهرة والباطنة عن طريق الرموز الذي يتكون في مجتمع معين من علوم ومعتقدات وفنون وقيم وقوانين وعادات وغيرها .

وتعرف الثقافة بأنها كل ما يرث المجتمع من اجياله السابقة باستثناء الصفات الحياتية الطبيعية من نظم وقيم ومعتقدات اجتماعية وفكرية ودينية وانماط سلوكية ومهارات فنية يُسيطر على بيئة ويكيف نفسه لها ويستطيع بوساطتها اشباع احتياجاته الحياتية والاجتماعية وغيرها من جيل الى الجيل الذي يليه .

٤-التواصل الاجتماعي :

وهو الاجراء الذي يتم فيه تبادل الفهم بين الكائنات البشرية ، او هو العمل الذي عن طريقه تنتقل المعاني من انسان الى اخر او من جماعة الى اخرى ، وقد اثر الاتصال عن طريق الصحف والاذاعة والتلفاز تأثيراً كبيراً في المجتمع البشري حيث ازداد التفاعل بين افراد المجتمع واتسع افق كل جماعة بفضل اتصالها باجزاء العالم اخرى واستفادتها من مختلف الثقافات والفنون والعلوم .

المفاهيم المرتبطة بمفهوم التسامح :

أ-التساهل Permission :

على وفق هذا لهذا المفهوم ، فإن التسامح هو العلاقة بين السلطة والاغلبية وبين المخالفين او المعارضين ، أي الاقليات المختلفة او المعارضة وهنا يعني

التسامح ان السلطة تسمح لاعضاء جماعة الاقلية بالعيش على وفق معتقداتهم وتصوراتهم حول الظروف التي تقبل فيها الاقلية مواقف المسيطرة للسلطة او الجماعة الاغلبية ، وفي الحالة الثانية يقوم التسامح على اسس برلمانية لانه ينظر الى هذا الشكل من التسامح بوصفه التكلفة الاقل لكل الاحتمالات الممكنة ولاسيما عندما لا يحل ذلك بالسلام الاجتماعي والنظام المدني وتدافع عنه الجماعة المسيطرة التي تشارك فيه ، وفي هذا المجال يفرق اديب اسحق بين التعصب والتساهل فلفظ التعصب يعني " الغلو في الدين والرأي الى حد التعامل على من خالفهم بشيء فيما يدين وما يرى".

اما لفظ التساهل فيعني الاعتدال في المذهب والمعتقد على عكس ذلك التطرف والغلو المصاحب لمفهوم التعصب الذي يؤدي الى اغراق الفرد في استنكار الرأي المخالف مما قد يؤدي به الى حمل الناس حملاً على الانقياد لرأيه بالقوة ومنعهم من اظهار ما يعتقدون ، وذلك من منطلق ادعاء الكمال لنفسه واثبات النقص لمن يخالفه ، ويعني بذلك قبول الفرد واحترامه آراء الاخرين ، اعتقاداً في صحتها ورجوعاً الى معاملة الناس بما يجب ان يعاملونه ، فهو لا يقطع بلزوم الخطأ في آراء الآخرين وهو لا يمنع الناس من اظهار ما يعتقدون.

ب-السلام الاجتماعي :

ان السلام لا يعني غياب الحرب فحسب فضلاً عن انه ليس ظاهرة سياسية ولكنه يعبر عن عملية اجتماعية لها عدد من المستويات التي تتضمن السلام على مستوى العائلة وعلى مستوى المجتمع ، ثم على المستوى الاقليمي والدولي كذلك ويتضمن السلام الداخلي أي السلام مع النفس وهو هذا النوع من السلام الضروري من اجل خلق عالم سلمي وهو يعني كذلك استبعاد مظاهر العنف والقهر والخوف كلها في المجتمع .

ويُعدّ التسامح مبدأ للتعايش ولاحترام الآخر ومعنى ذلك النظر الى أي طرف آخر بوصفه شريكاً في التباحث أو المحاججة . وسواء أكان هذا الآخر صديقاً أم خصماً أم غير ذلك ، فإنه يشارك مثلاً في حياة المجال العام اذ تتدرج مواجهة الآراء والقناعات عن طريق المسافة المناسبة التي يهيئها العقد الاجتماعي او الميثاق

الوطني ويعدلها بحسب مختلف المصالح المتعارضة بالقول والفعل وهنا يكمن مدلول الوفاق او التعاون الذي يربط التسامح بالسلام الاجتماعي ، وبذلك يتطلب التسامح احداث طرف ثالث او كلام ثالث ، اذ يستقر التوازن ويجد مكانه بين الانانيات الفردية والجماعية والعشائرية .

جـ- الاحترام :

وهو عكس مفهوم التعايش من حيث كونه يقوم على اسس اخلاقية ويظهر عندما يتحمل افراد الجماعات بعضهم البعض ويحترم كل فرد الاخر بوصفه مواطناً في دولة اذ يجب على الافراد في كل الجماعات – اغلبية او اقلية – ان يحوزوا مكانات اجتماعية وسياسية متكافئة ، وهم يختلفون بطريقة ملحوظة حتى في معتقداتهم الاخلاقية الخاصة بأساليب الحياة وفي ممارستهم الثقافية ويقيمون رؤاهم المختلفة من وجوه عدّة وهم يحترمون بعضهم البعض بوصفهم متعادلين سياسياً واخلاقياً انطلاقاً من ان خلفياتهم العامة في الحياة الاجتماعية يجب ان توجه عن طريق الاعراف (العادات والتقاليد) التي يمكن ان تقبلها كل الجماعات التي تؤدي الى تمييز احدى الجماعات على الاخرى .

ثانياً – الاسلام والتعايش السلمي بين الاديان في هذا العصر :

ان الاسلام من موقعه بوصفه دينا سماوياً يقوم على مبادئ ثابتة واسس واضحة لا يرفض التسامح والتعايش اذا كانت الغاية منه تلقائية تهدف الى خدمة الاهداف الانسانية السامية وتحقق المصالح المشتركة العليا واهمها استتباب الامن وانتشار السلم في الارض وردع العدوان والظلم والاضطهاد الذي يلحق بالافراد والجماعات والشعوب شرط ان يكون هذا التعايش محكوماً بالاحترام المتبادل بين اصحاب الديانات الانسانية جميعاً بما يدعم التقدم وخدمة القضايا الانسانية المعادلة وقيم الخير والعدل ونجد ان الاسلام عن طريق هذا المفهوم كان اقرب الاديان الى التعايش والى استيعاب هذه الحقيقة بالنظر الى ايمان المسلمين بالرسل جميعهم واحترامهم الرسالات السماوية والاسلام يرى ان التعايش بين اكبر الديانات السماوية ينطلق من اسس عقائدية يقول الله تعالى ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ))(ال عمران : ٦٣) . فالسماحة المشتركة بين اهل الكتاب والمسلمين مساحة واسعة .

وعليه فإن التعايش منطلق ايماني وهو بالتالي متجذر في تاريخ الحضارة الاسلامية ويزداد في هذا العصر ألقاً ودعماً .

والتعايش بين الاديان يفقد جدواه وقيمته حين ينقلب الى اصرار البعض على استغلاله وتوجيهه الوجهة التي لا تخدم الاهداف الانسانية وان التعايش الذي يجب ان يفهمه المسلمون لا يعني تذويب المواقف والعقائد ومزجها وصبها في قالب واحد.

فمن المفروض ان يتجه التعايش نحو انصاف المظلومين والمقهورين في الارض جميعاً والعمل على اقرار مبادئ الحق والحرية والعدل .

ان التعايش بين الاديان في الحقيقة تعايش بين الثقافات والحضارات وهو اشد الحاحاً في هذا القرن اذا بُني على اساس سليم يدفع بالتعايش بين الاديان نحو الاتجاه الصحيح الذي يحقق ما دعا اليه اهل الكتاب الى تفرّد الله بالعبودية وعدم الاشراك به ورفض الطغيان والجبروت وفرض الهيمنة بالاخضاع بالقوة مما يؤدي الى الفوضى في العالم وليكن التعايش من اجل الخير والفضيلة وما فيه مصلحة الانسان في الاحوال كلها .

أُشير الى التنوع والاختلاف عن طريق اربعة مجالات :

١. الى كون الاختلاف مظهراً للقدرة والحكمة الالهيتين فعن طريق تدبرنا في ايات القرآن الكريم وقراءتنا الواعية نصوص السنة النبوية وسيرة ائمة المسلمين نكتشف رؤية واضحة للتعاطي مع موضوع الاختلاف اذ ان في التنوع والتغاير في المخلوقات اجلى الايات على قدرة الخالق وعظمته وابداعه اذ يضفي هذا التنوع على الكون والحياة جمالاً وروعة .
٢. مشروعية التنوع : واضح ان التنوع بين الناس على نوعين أ) تنوع طبيعي تكويني وجد الناس انفسهم ضمنه . ب)تنوع اختياري كسبي يرتبط بقناعات الانسان وافكاره ونمط سلوكه واتجاهه وهذا التنوع ناشئ من تقدير الله وحكمته لوجود الانسان في هذه الحياة .

٣. التنوع الايجابي : يجب ان يكون دافعاً نحو التعارف والتواصل بين المجاميع البشرية المختلفة .

٤. التنافس الايجابي : ان القرآن يّوجه البشرية الى ان تستفيد من واقع التنوع في اذكاء روح منافسة الايجابية ، بأن تسعى كل جهة الى بناء ذاتها وان تثبت تفوقها عن طريق ما تنجزه من اعمال الخير والصلاح وما تحققه من عمارة الارض وخدمة الحياة .

التعايش الذي تعرض فيه نماذج عن التنوع الديني في المجتمع الاسلامي وفي ظل الحضارة الاسلامية .

وان هناك شرطين اساسيين يمكن بهما تجاوز ما تفرزه حالة التنوع غالباً من اشكالات في التعاطي والتعايش هما :

١-ضمان الحقوق والمصالح للاطراف المختلفة .

٢-الاحترام المتبادل .

مواطنون واديان مختلفة تحت هذا العنوان اتحدث عن بدء تأسيس السنة الاولى للمجتمع الاسلامي في المدينة المنورة وكيف ان الرسول (ﷺ) وضع دستوراً اساسياً تنظيماً لادارة المجتمع والدولة الاسلامية الناشئة عرف بصحيفة المدينة وقد تضمنت هذه الصحيفة الاعتراف بمواطنة غير المسلمين وعضويتهم في تكوين المجتمع الجديد وحدد الواجبات التي عليهم والحقوق التي لهم شأنهم شأن المواطنين المسلمين الآخرين .

فالاسلام يحتضن الشعوب والقوميات ولا يتحفظ على اللغات الاخرى على الرغم من ان القرآن انزله الله (بلسان عربي مبين) وترك الحرية الى الشعوب الاسلامية بالاحتفاظ بعاداتها وتقاليدها التي لا تتنافى مع تعاليم الاسلام ولا تخالف مفاهيمه .

للوصول الى زمن التعايش علينا نبذ التعصب وقد قال رسول الله (ﷺ) من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع اعراب الجاهلية ، فالتعايش هو الخيار الذي ينبغي ان نسعى جميعاً لصناعته ومعايشته لان محاولة الفرض والالزام لن تجدي نفعاً وان حالة العداء والصراع تدخل المجتمع في نفق

الصراع الداخلي الذي قد ينتهي الى حرب اهلية كما حصل في بعض البلدان ، ثم لم يبق الا خيار التعايش بأن يعترف كل طرف للاخر بحقه في التمسك بقناعاته ومعتقداته وممارسة شعائره الدينية والعمل على وفق اجتهاداته المذهبية ويتعامل الجميع على انهم مواطنون متساوون في الحقوق والواجبات لتحقيق المصلحة ومواجهة الاخطار المشتركة ومسؤولية تحقيق هذا التعايش تقع على عاتق الجميع (فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته) كما جاء في الحديث الشريف .

ثالثاً – التسامح في ثقافة الاديان :

أولاً– قيمة التسامح في كونه ضرورة واجبة

ان ما يجب تسليط الضوء عليه ان اهمية التسامح الديني تتمثل في كونه ذا بعد وجودي أي انه ضروري لضرورة الوجود نفسه ولتوضيح ذلك يمكن القول ان سُنة الوجود قد اقتضت ان يكون وجود الناس على الارض في شكل تجمعات بشرية وهي ان اتفقت فيما يجمع فيما بينها من وحدة الاصل والحاجة الى التجمع والحرص على البقاء والرغبة في التمكن من مقومات الحياة والسعي في اقامة التمدن والعمران والتوق الى الارتقاء والتقدم فإنها قد تباينت فيما تنفرد به كل مجموعة من خصوصية عرقية ودينية وثقافية وقد صرح القرآن بهذه الحقيقة الوجودية فقال : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)) ، فقد اكدت الاية ما كان قد توصل اليه الحكماء والفلاسفة من قبل واثبته الواقع التاريخي المشاهد من ان الانسان مدني بطبعه بمعنى انه لا تتحقق حياته ولا ينبني كيانه ولا تكمل ذاته ولا يكتسب ما تصبو اليه قدراته إلاّ داخل وسط اجتماعي متشابك فيه الخير والشر وفيه التحابب والتباغض وفيه التقارب والتنافر وفيه الانا والانا الاخر ، فالانسان ابن بيئته ينشأ فيها وهي التي تكونه وتلونه وهي التي توفر له مما تملك ما يفي بحاجاته الاساسية وانها هي التي تأقلمه بشكل يجعل المتعلقات الذاتية تتناسق مع روحها العامة وتنسجم مع ما لديها من غاية مشتركة .

ومن ذلك يتبين ان التنوع بين الناس افراداً وجماعات ما كان انحرافاً ولا شذوذاً ولا مروقاً بل كان من طبيعته البشرية ومن اصل خلقهم فهو ظاهرة ضرورية اقتضتها الفطرة الانسانية واستلزمتها النشأة الاجتماعية انه تنوع في الطبائع والامزجة والمواهب والميول والمؤهلات والطموحات وانه تنوع في انماط الممارسات الاعتقادية وتباين في التمثلات الطقوسية وتغاير في التجليات السلوكية وتغاير في المنطلقات الفكرية وانه تنوع ايجابي فيه ثراء وخصوبة وتلاقح يحفز على الاضطلاع بالمسؤوليات الثقال ويدفع الى جعل الوفاء بالحاجات النفسية والعقلية والوجدانية والاجتماعية والحضارية واقعاً مرئياً وخياراً متاحاً امام القدرات والكفاءات ، وقد المح القرآن الكريم الى ضرورة هذا الاختلاف النمطي والى حتمية وجوده حتى يتمكن كل فرد وكل مجتمع من العيش بحسب ما لديه من ارادة وحرية واختيار ، وبالطريقة التي يهواها ويرتضيها ((وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)) (سورة هود : ١١٨).

وهكذا نلحظ ان الغاية من اختلاف الناس الى شعوب وقبائل وتنوعهم الى ثقافات ومدنيات انما هو للتعارف لا التناكر والتعايش لا الاقتتال ، والتعاون لا التطاحن والتكامل لا التعارض . وبات واضحاً ان اهمية التسامح الديني تتمثل في كونه ضرورة الوجود نفسه.

٢-قيمة التسامح الديني تتمثل في كونه يقتضي الاحترام المتبادل :

مما تقدم تبيّن ان قيمة التسامح الديني تتمثل في كونه يقر الاختلاف ويقبل التنوع ويعترف بالتغاير ويحترم ما يميز الافراد من معطيات نفسية ووجدانية وعقلية، ويقدر ما يختص به كل شعب من مكونات ثقافية امتزج فيها قديم ماضيه بجديد حاضره ورؤية مستقبلية هي بسب وجوده وسر بقائه وعنوان هويته ومبعث اعتزازه.

٣-قيمة التسامح الديني في كونه يقتضي المساواة في الحقوق :

من الواضح ان قيمة التسامح الديني تتمثل في كونه يقتضي التسليم المطلق ،- اعتقاداً وسلوكاً وممارسة – بأنه اذا كان لهؤلاء وجود فلأولئك وجود ، واذا كان لهؤلاء دين له حرمة فلأولئك دين له الحرمة نفسها ، واذا كان لهؤلاء خصومة ثقافية لا ترضى الانتهاك فلأولئك خصومة ثقافية لا تقبل المس ابداً .

رابعاً – التعايش والتسامح في نظر الاسلام :

يقدر الاسلام ان تقرير الحقوق والواجبات مصدرها الله تعالى الذي هو الحق المبين وتشريعه العدل المطلق الايجابي وهذا يعني اموراً عدة :

أ–اعطاء مضمون حقوق الانسان في الاسلام عمقاً عقيدياً بحيث يطالب المرء بحقه باصرار وثبات ويجاهد لاجله لانه من امر الله الذي ينبغي الا يفرط به وإلاّ كان من الظالمين .

ب– ان ربطها بالله تعالى يعطي هذه الحقوق ما يضمن تطبيقها ويصبح الايمان بالله حارساً عليها ودافعاً للحفاظ عليها والنضال من اجلها ثم انه تحذير للمشاعر وتبرير للاستسلام والخضوع والاتكال طالما ان المؤمن يؤمن بالله تعالى هو خير رقيب وحسيب ولا يعزب عن عمله مثقال ذرة في الارض ولا في السماء .

جـ– ان حقوق الانسان بالمفهوم الاسلامي مستمدة من الحكمة الالهية وليست من الطبيعة الانسانية كما تذهب المدارس الوضعية التي تتعامل مع حقوق الانسان وكأنها منحة تمنحها الدولة متى تشاء ، فضلاً عن ذلك ان علمه تعالى يجعل من المستحيل ان يحدد حقوقاً للانسان تتعارض مع الغاية الاساسية للوجود في الطبيعة وهو الاستخلاف .

وان الاسلام يلزم اقراره بتطبيق هذه الحقوق ويعدها الزاماً شرعياً يجب الوفاء به وإلاّ تعرض صاحبه للمساءلة القضائية على وفق المنظور الاسلامي ، لقد ادرك الانسان حالياً على الرغم من الاتفاق على ذلك الحاجة الى وجود اعلام دولي بالاعلان العالمي لحقوق الانسان ثم عاد الى الاسلام ليلتقي مع نظرته التي كان قد اعلن عنها وليشهد بواقعية المبادئ التي جاء بها الاسلام .

وان الاسلام وان اعترف بوجود حقوق طبيعية للانسان سواء أكانت قواعد آمرة أم حقوقاً مدنية سياسية او اقتصادية واجتماعية الا انه لم يجعلها مطلقة كما هو الحال مع الغرب وانما جعلها مقيدة بأمرين اثنين :

١-اذا تعارضت حقوق الفرد مع حق الجماعة فإن الاسلام يقدم الجماعة على الفرد ومن ثم يمثل هذا قيداً مهماً على حقوق الانسان الطبيعية ، فمثلاً من حقوق الانسان الطبيعية حق التملك وحق الحياة الذي كفلته المادة الاولى في فقرتها الاولى من الاعلان العالمي لحقوق الانسان .

٢-حياة الانسان مقدسة ولا يجوز ان يُعتدى عليها ، اما في الاسلام فتوجد القدرة على سلب الحياة من الانسان في حالة انتهاكه بعض المبادئ التي توجب ازهاق الارواح في الاسلام ولكن على وفق الاجراءات التي تقرها الشريعة الاسلامية (الارتداد عن الدين) .

في حين ان حقوق الانسان هو مصطلح يراد به الاشارة الى الحقوق الطبيعية التي تعد من مستلزمات الوجود الانساني على الارض والاسلام لا ينكر هذه الحقوق لكن يمثل تطوراً في اتجاه النظرة اليها عن طريق الزامه بوجوب الالتزام بها وإلاّ تعرض للعقاب .

ان الاسلام من جهته يعترف بوجود الاخر المختلف فرداً كان أو جماعة، ويعترف بشرعية ما لهذا الآخر من وجهة نظر ذاتية في الاعتقاد والتصور والممارسة تخالف ما يرتئيه شكلاً ومضموناً ويكفي ان نعلم ان القرآن الكريم قد سمى الشرك ديناً على الرغم من وضوح بطلانه لا لشيء إلاّ لأنه في وجدان معتنقيه دين، ومن هنا فإن جريمة المشركين لم تكن في اعراضهم على الاسلام وانما في كونهم رفضوا ان يعيش دين جديد الى جوار دينهم فقرروا محقه واستئصاله من الوجود .

هذا وقد واصل بعضهم الايات الواردة في شأن احترام الاديان الاخرى واحترام خصوصيتها واتباعها الى اكثر من مائة آية موزعة في ست وثلاثين سورة ولم يكتف القرآن بتشريع حرية التدين ، بل نجده قد وضع جملة من الاداب يمكن عدها بيداغوجيه للتسامح الديني فقد دعا المسلمون الى ان يكون لغيرهم موضع حفاوةٍ ومودة وبر واحسان قال تعالى : ((لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ))

واتساقاً مع تلك الدعوة الى حسن التعامل نرى القرآن الكريم يحذر اتباعه وينهاهم عن سبّ المشركين وشتم عقائدهم قال تعالى : ((وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ)) .

ويشير مضمون الاية الى كونها تلقين مستمر المدى إذ اوجب الله تعالى في كل مكان وزمان الالتزام بهذا الادب وعدم شتم الآخرين وعقائدهم والواقع ان المرء اذا نظر الى تلك المبادئ المتعلقة بوضوح حرية التدين التي اقرها القرآن بموضوعية لا يسعه الا الاعتراف بأنها فعلاً مبادئ التسامح الديني في اعمق معانيه واروع صوره وابدع قيمه .

ولم ترد لفظة التعايش والتسامح في القرآن والسنة ، ولكن وردت لفظة البر والاحسان والقسط ، فالحوار المتعلق بالعلاقة المعيشية البحتة بين معتنقي الاديان ، يهدف الى تحسين العلاقة بين الشعوب او الطوائف وربما تكون الاقليات الدينية ، فإن الاسلام يرحب به ويدعو اليه عن طريق الاحسان والبر والقسط ولا يتنافى مع نصوص الشرع الناهية عن موالاة الكفار فمفهوم التسامح والتعايش في الاسلام هو التعايش مع غير المسلمين على وفق الحكمة واللين والمعروف سواء في ذلك التعامل في الخطاب أم في مطلق التصرف على وفق الضوابط الشرعية فإذا حارب او اعتدى ، فعلى المسلمين ان يحاربوه ويردعوه .

ويؤكد (زكريا امام) بأن الاسلام قد دعا الى حوار الاديان والحضارات والتعايش السلمي منذ اكثر من خمسة عشر قرناً واعترف بكل الاديان التي كانت معروفة وابرزها اليهودية والمسيحية ، ودعا الى الحوار (التي هي احسن) والى الحكمة والموعظة الحسنة والجدال العقلي الرصين .

٢-التعايش والتسامح عند المسيحية :

مع ظهور المسيحية في مرحلة لاحقة دعا السيد المسيح الى المساواة بين الناس واوصى تابعيه بمعاملة الناس بمثل ما يحبون ان يعاملونه به ، واعلن ان المساواة التي يدعو اليها هي مساواة الروح لا الجسد فالناس متساوون بأرواحهم امام

الله ، اما الخضوع فبالجسد وقد دعا المؤمنين به الى الصبر والتسامح ، ليهون عليهم هذا الخضوع .

وانطلاقاً من المبادئ السابقة دعا القديس بطرس العبيد الى طاعة سادتهم وتسخير اجسادهم لخدمتهم ، والاخلاص لهم لا بالمظهر الذي يرضى عنه الناس بل بالقلب الذي يرضى عنه الله ، فيقول : "ايها العبيد ، اطيعوا سادتكم حسب الجسد ، عاملين بمشيئة الله من القلب ، خادمين بنيه صالحه" .

هنا اعلن البابا الروماني غريجوار الكبير (Gregoriel Le Grand) ضرورة الابقاء على الرق ، ونصح القديس ازيدور (Isedor) العبيد بأن لا يطمعوا في التحرر من الرق ولو اراده اسيادهم ، إذ لا يسع العبد ان يتشوق الى الحرية لانه ببقائه على الرق يحاسب يوم القيامة حساباً يسيراً ، اذ يكون قد خدم مولاه الذي في السماء ومولاه الذي في الارض .

حاول القديس اوغسطين (St. Augustin) ان يفلسف ايمان المسيحية بالرق ودفاعها عنه فذهب الى ان الله خص بعض الناس بالرق ليكونوا محكومين وخص اخرين بالحرية ليكونوا حاكمين .

لم تنجح الكنيسة اذاً في التخفيف من آلام الرق ، وراح الناس في ظلها يمارسون على العبيد حق الحياة والموت ويعاملونهم معاملة البهائم .

والصحيح ان الاسلام لم يكن وحده في اشتماله على مبادئ التسامح فالمسيحية التي تقول اناجيلها :

- " لقد قيل لكم من قبل ان السن بالسن ، والانف بالانف وانا اقول لكم : لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحول اليه الايسر ومن اخذ ردائك فإعطه ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين " .
- من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان .
- عاشروا الناس معاشرة ان عشتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم .

هذه المحاور تتضمن مبادئ التسامح في اجلى صورة ، بل انه التسامح يبدو احياناً فوق الطاقة " .

وقد قرن الدين المسيحي مسامحة البشر بعضهم البعض بمسامحة الله (ﷻ) للبشر فيقول الله سبحانه وتعالى في الكتاب المقدس "فإن كنتم تغفرون للناس زلاتهم ، يغفر لكم ابوكم السماوي زلاتكم ، وان كنتم لا تغفرون للناس زلاتهم . لا يغفر لكم ابوكم السماوي زلاتكم" .

وكذلك " كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله ايضاً في المسيح" .

ويرد في الصلاة الربانية التي يتلوها اخواننا المسيحيون (واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن ايضاً للمسيئين الينا) .

وفي هذه الصلاة يريد الله سبحانه وتعالى ان يعلم المسيحيين في اثناء صلاتهم انهم اذا لم يغفروا ذنوب المسيئين اليهم لن يغفر الله لهم ذنوبهم .

وليست هذه هي الايات التي تدعو الى التسامح والمحبة فحسب في الدين المسيحي ، بل هناك عدد من الآيات التي تطالب المسيحيين بذلك ومنها :

- احتملوا بعضكم بعضاً وليسامح بعضكم بعضاً اذا كانت لاحد شكوى من الآخر، فكما سامحكم الرب ، سامحوا انتم ايضاً) .
- واذا قمتم للصلاة وكان لكم شيء على احد فاغفروا له حتى يغفر لكم ابوكم الذي في السماوات زلاتكم) .

فكلمة التسامح والمغفرة ذكرت في الكتاب المقدس (٢٨) مرة ، وكلمة المحبة ذكرت (٤٠٩) مرة ، في الكتاب المقدس .

٣-التعايش والتسامح عند اليهودية :

ميزت اليهودية في الحقوق بين اليهودي والغريب ، فاليهودي لا يسترق لانه ينتمي الى فئة شعب الله المختار الذين اخرجهم من ارض مصر فلا يباعون عبيداً . واذا ما افتقر اليهودي صار خادماً فإن من الواجب ان يعامل برفق ، وان يحرر بعد ست سنوات من الخدمة او في سنة اليوبيل اذا حلت قبل السنوات الست وعلى دائنه ان يزوده عند تحرره بشيء من غنمه وبيدره ومعصرته .

اما غير اليهودي (الغريب) فهو وحده الذي يجوز معاملته على انه من الرق في الحرب او الشراء وينبغي ان يعامل بقسوة ، ولا يجوز تحريره او افتداؤه ، بل يظل عبيداً ابد الدهر .

تقوم اليهودية اذاً على التمييز العنصري وتجاهل الجانب الانساني في الانسان، فالله هو رب اليهود وحدهم ، وقد اختارهم ليكونوا سادة الناس وجاء في شريعتهم ان موسى قد اوصى بني اسرائيل بقتال الشعوب المجاورة فإن ظفروا بهم صلحاً او حرباً وجب عليهم قتلهم حتى لا يستبقوا منهم احداً ، اما الشعوب غير المجاورة فعليهم ان يدعونهم الى الصلح فإن استجابوا كانوا عبيداً لهم ، وان لم يستجيبوا للصلح او حاربوا اليهود وانتصر هؤلاء فإن على اليهود ان يضربوا عندئذٍ اعناق جميع رجالهم بحد السيف ، وان يسترقوا نساءهم واطفالهم وان يغنموا اموالهم الصحيح كذلك ان اليهودية تدعو الى التسامح فإذا نظرنا الى مثل هذه الوصايا :

- كل ما تكره ان يفعله غيرك بك فإياك ان تفعله انت بغيرك .
- اغتسلوا وتطهروا وازيلوا شرافكاركم وكفوا عن الاساءة تعلموا الاحسان والتمسوا الانصاف .

وهكذا تظهر ايات التسامح الديني مطلباً انسانياً نبيلاً دعت اليه الاديان كافة من دون استثناء وكيف لا تدعو اليه وقد ارادته الحكمة الإلهية واقتضته الفطرة الانسانية واستوجبته النشأة الاجتماعية وفرضته المجتمعات المدنية وحتّمته ثقافة العولمة وما تحتاج اليه من قيم حضارية ومدنية نبيلة ، والمهم كذلك ان المشكلة ليست في الاديان ذاتها وإنما هي كامنة في عمق إفهام بعض القائمين عليها ولا زالت المفارقات بين المبادئ والممارسات الواقعة هنا وهناك لا تحصى .

١-تأكيد ضرورة حرية ممارسة الشعائر الدينية واقامة دور العبادة هو حق اصيل لكل فرد على هذه الارض.

٢-ضرورة التزام الدول والحكومات بمبادئ الشرعية الدولية والاعلان العالمي لحقوق الانسان .

٣-الحرص وتأكيد ان الحوار هو الاسلوب الامثل للتواصل بين اتباع الاديان لايجاد التقارب والحلول العلمية الفعلية .

٤-البعد عن العنف والارهاب والتطرف الديني والتكفير والتدخل في خصوصيات الآخر الدينية .

٥-ضرورة توفير اعلام جيد يدعو الى التسامح وقبول الاخر وكذلك القوانين التي تؤسس للمساواة وتطبيق العدل وتشديد العقاب على التطرف الديني .

المصادر :

١. د. احمد زكي بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، ساحة رياض الصلح ، بيروت ، ١٩٧٧م .

٢. د. أديب اسحق ، التعصب والتساهل : في اضواء على التعصب ... الانترنيت.

٣. اشرف عبد الوهاب ، التسامح بين التراث والتغير ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، ط١ ، سنة ٢٠٠٥م .

٤. حسن حنفي ، التعصب والتسامح الديني ، بيروت ، دار الموج للطباعة والنشر، سنة ١٩٩٣م .

٥. د. شاكر مصطفى سليم ، قاموس الانثروبولجيا ، ط١ ، سنة ١٩٨١م .

٦. د. عاطف وصفي ، الانثروبولوجيا الثقافية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ــ ص. ب. ٧٤٩ .

٧. عبد الرحمن الصالح ، من اجل حوار بين المسيحيين والمسلمين .

٨. عبد الكبير الخطيبي ، السياسة والتسامح ن ترجمة : عز الدين الكناني الاديسي، القاهرة ، المجلس الاعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة رقم ١٠٢، سنة ١٩٩٩م .

٩. عبد الله الطريفي ، التساهل مع غير المسلمين مظاهره وآثاره ، سنة ١٩٩٨م.

١٠. هويدا عدلي ، التسامح السياسي : المقومات الثقافية للمجتمع المدني ، القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان ، سنة ٢٠٠٠م .

تسامح ديني 11.ar.wikipedia.org.

حوار الاديان 12.www.dostoc.com

التسامح الديني في الاسلام 13.www.anavaa.org

التسامح في الدين المسيحي 14.www.alakah.net

15.www.//AlasLamwaHayshmALnas. الموقع الالكتروني

١٦. الموقع الالكتروني TRAIDNTfoRum القسم العام – الركن العام المواضيع العامة .

١٧. هيثم فيصل الاحبابي ، مبادئ حقوق الانسان والمرأة العراقية ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد/ كلية الآداب ، ٢٠٠٥ .

١٨. اماني غازي جرار ، الاتجاهات الفكرية لحقوق الانسان وحرياته العامة دار وائل للنشر والتوزيع ، الاردن ، ط١ ، ٢٠٠٩م .